الفصل السادس

المجتمع العربي وفلسفة الاشتراكية

- تمهيـــد :
  - فلسفة أفلاطون
  - فلسفة الثورة الفرنسية
- ثورات القرن العشرين :
  - الشـــيوعية
  - الفـــاشـــية
  - النـــــازية
- الرسالات الدينية :
  - المســـيحية
  - الاســـــلام
- الفرق بين ثورة واخرى :
- موازنة بين صور الثورات الحديثة
  - الاشتراكية الشيوعية
  - اشتراكية الفاشية
  - اشتراكية النازية
  - الاشتراكية العربية

obeikandl.com

obeikandl.com

المجتمع العربى وفلسفة الاشتراكية

• تمهيـــــد :

كل رسالة اصلاحية دينية أو فلسفية انما ظهرت لتغيير الوضـــع الاجتماعى ، وجاءت عقب اختلال واضح فى توازن المجتمع .

وكل نظم الحكم فى الجماعة الانسانية تعطى لنفسها الحق فى أنها قامت لتزيل الاختلال فى التوازن ، وتحقق « العدل الاجتماعى » .

والاختلال فى توازن المجتمع اذن هو سبب التغيير فى نظامه ، وبالتالى تحقيق العدل الاجتماعى هو هدف التغيير فى نظام اى مجتمع .

وكل نظام فى الحكم له فلسفة ورسالة تبرر قيامه وتدعو لاستمراره . واذن هناك فى تاريخ اى جماعة انسانية عرفت سياسة الحكم الحقـــائق الآتيـــة :

(أ) نظام للحكم فى صورة ما .

(ب) فلسفة أو رسالة تبرر هذه الصورة من نظم الحكم ، دون غيرها .

(جـ) تغيير اى نظام للحكم يأتى عقب اختلال فى توازن الجماعة ، ويهدف أو يدعى انه قام لاعادة توازن الجمـــاعة من جديد . أو لتحقيق ما يسمى بالعدل الاجتماعى .

• فلســـــفة افلاطـــون :

وضع افلاطون على عهد الاغريق نظاما للحكم فيما سماه « الجمهورية » وقصد به تحقيق التوازن بين طبقات الشعب الاغريقى . واشتق هـــذا

النظام من تصوره « العدل » بين قوى النفس البشرية للفرد من الانسان . تلك القوى التى أطلق عليها : القوة الشـــهوية . والقوة الغضـــبية ، والقوة الحكمية . وهى متدرجة فى القيمة ـــ فى تصوره ـــ أدناها قيمة القوة الشهوية وارفعها فى المرتبة القوةالحكمية . أما القوةالشهوية فوظيفتها تحقيق الجانب الحيوانى فى الانسان بينما وظيفة القوة الغضبية هى الدفاع عن كيانه ووجوده الشخصى . أما القوة الحكمية ، وهى القوة العاقلة والادراكية فى الانسان ـــ فهى لضبط هاتين القوتين ، بحيث لا تسيطر القوة الشهوية فيه على تصرفه فيكون فى مستوى الحيوان فى الانحطاط ، وبحيث لا تطغى عليه القوة الاخرى وهى الغضبية فيكون متهورا جامحا . وتحقيق التوازن بين هاتين القوتين يتم اذن بفضل القوة الحكمية فى الانسان .. ووظيفة هذه القوة ـــ كما تصور أفلاطون ـــ هى العدل فى دائرة الفرد الانسانى .

وعلى هـــذا القياس تمثل أفلاطون أن الجماعة ـــ وطبعا الجماعة الاغريقية ـــ تتكون من ثلاث طبقات : الطبقة العاملة ، وطبقة الجند ، وطبقة الحكماء والفلاسفة . والطبقة العاملة فى الجماعة بمثابة القـــوة الشهوية فى الفرد . وطبقة الجند فيها تساوى القوة الغضبية لدينا . بينما طبقة الحكماء تقابل القوة الحكمية . ولكل من الطبقات الثلاث فى المجتمع نفس القيمة ونفس الوظيفة التى لنظائرها من قوى النفس الفردية .

وبهذه الفلسفة النظرية أراد أفلاطون ان يزيل « الخلل فى التوازن » سواء فى الفرد أو الجماعة . ويحقق بالتالى العدل بين قوى نفس الفـــرد والعدالة بين طبقات المجتمع .

وهو لم يحاول هذه المحاولة النظرية الا بعد ما انتشر الرق الانسانى فى الشعب الاغريقى وتعددت صور الظلم الاجتماعى الذى كان يباشره بعض الطبقات فى العلاقة مع بعض آخر منها ولم يكن من سبب فى ممارسة هذا الظلم الاجتماعى الا القوة المادية التى أتيحت لفريق دون فريق واستغلها الفريق الذى أتيحت له دون نظر الى الروابط العديدة بين أفراد الشعب الواحـــد .

ولذلك عندما أعلن أفلاطون فلسفته النظرية هذه عد فيلسوفا مثاليا . لأنه ربط تحقيق العدالة فى صورتيها الفردية والجماعية بسيادة الحكمة على القوة المادية وهو فى واقع الأمر لا يكافح القوة المادية فى ذاتها وانما يكافح أن تكون لها السيادة وحدها ومن هـــذا يكون فى الفلســـفة المثالية التى

ابتدأها أفلاطون فى سلسلة من التفكير المنظم الصراع مع الفلسفة المادية التى تمجد المادة وحدها فى صورها المختلفة وتطلب أن تكون لها السيادة فى السلوك الفردى والجماعى .

● فلسفة الثورة الفرنسية :

ولو انتقلنا من فلسفة أفلاطون ورسالته الفكرية لاعادة التوازن ودفع الاختلال ، أو لتحقيق ما يسمى بالعدالة فى الشعب الاغريقى الى فلسفة النهضة الأوروبية وبالأخص الى فلسفة الثوره الفرنسيه نجدها أيضا ظاهرة حدثت فى مجتمع انسانى عقب اختلال فى توازن هذا المجتمع لتزيل هذا الاختلال وتحقق التوازن أو العدالة الاجتماعية ، وشعارها المثلث الكلمات : الاخاء ، والحرية ، والمساواة ، يعبر عن : لأى سبب ولأية غاية وجدت ، فالظلم الاجتماعى فى صوره العديدة الذى كان يمارسه ملوك فرنسا وحكام الملوك ويبارك وضع هؤلاء الملوك وحكومتهم رجال الكنيسة الكاثوليكية . كان السبب لتلك الثورة الفرنسية الكبرى التى قاد تفكيرها فولتير حقبة طويلة من الزمن . وقيام الجمهورية الفرنسية الاولى كان آية التغيير فى نظام الحكم فى المجتمع الفرنسى الذى وجد ليزيل آثار الظلم الاجتماعى الذى سببه اختلال التوازن . ويعيد من جديد التوازن او يحقق العدلة الاجتماعية .

واذا أخذت فلسفة أفلاطون طابع الفلسفة المثالية ، فقد كان لفلسفة الثورة الفرنسية طابع الانسانية لأنها لم تحارب فى تفكيرها الفلسفى فقط نظام الحكم السابق عليها . وأسطورة القداسة التى كانت للملوك والحكام — بل اشتد عنفها فى الصراع العقلى ضد الكنيسة الكاثوليكية ورجالها الذين ساندوا باسم الدين تتويج الملوك وصلاحية النظام الملكى فى الحكم الذى أوحى اذن بأن تستخدم الثورة العنف واسالة الدم من جانب ، بالانقلاب العام رأسا على عقب فى كل ما كان للمجتمع من نظم فى الحكم والاقتصاد ، وقيم انسانية فردية أو جماعية .

ولذلك كان العبء الذى تحملته هذه الثورة وتتحمله حتى الآن عبئا شاقا فى الداخل والخارج على السواء ، هو عبء مواجهة الرأى العام الدولى بانكار القيم الانسانية والخلقية المشتركة ، وعبء مواجهة الحقوق

الطبيعية العامة التى للانسان بحكم انه انســان قدر له من طبيعته أن يسود فيملك ويختار اذا ما تصرف وسعى ، ومن هنا كان استمرارها فى أن تتخذ من العنف فى الصراع والانقلاب شعارا لها ترمز اليه باللون الأحمر آية على مشقة العبء فى جوانبه العديدة الذى تحمله والذى ستستمر فى تحمله ، كما سنذكره فيما بعد .

وعلى كل حال هى ثورة قامت لتعيد التوازن الجماعى بعد ان اختل ككل ثورة قامت ووجــدت ــ أما كيف انها بمحاولتها الانقلابية الدموية أعادت أو تعيد التوازن ــ فهذا شىء سيأتى عند الموازنة بين ثورة واخرى وبين رسالة أو فلسفة اصلاحية ، ورسالة أو فلسفة أخرى .

***

Obeikandl.com

ولو تركنا هذه الثورة وفلسفتها الى النصف الأول من القرن العشرين والى ما حدث فيه من ثورات وفلسفات لهذه الثورات تبرز قيامها لوجدنا ان كلا من الثورة البلشفية فى روسيا والثورة الفاشية فى ايطاليا ــ والثورة الأخرى النازية فى ألمانيا ظاهرة اجتماعية دفع اليها وضع اجتماعى سابق ، وقصدت الى تغيير هذا الوضع واحلال وضع اجتماعى آخر يخلو من عيوبه .

● الشيوعية :

فالثورة الشيوعية أو الثورة الحمراء أو الثورة الماركسية قامت قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى فى سنة ١٩١٧ ضد النظام القيصرى والنظام الطبقى البرجوازى فى الحكم وضد الكنيسة الارثوذكسية وضد الرأسمالية الصناعية والاقطاع الزراعى على السواء لأن كل هذه النظم جميعها ــ وهى نظم داخلية ــ ساهمت فى تأسيس الوضع السابق عليها ، وفى محاولة الابقاء عليه وهو وضع وضحت فيه مظاهر « اختلال التوازن » فى الجماعة وفى العلاقات بين الأفراد والطبقات . فكان هناك تحكم واحتكار من جانب يقابله طواعية المستذل واستسلام المسترق من جانب آخر . وكانت هناك قدسية لبعض الأفراد واهدار لآدمية البعض الآخر .

والنظام القيصرى الروسى السابق على الثورة الشيوعية الحمراء اعتمد على حق الطاعة المطلقة على الرعية . وساندته الكنيسة الروسية ــ وهى الكنيسة الشرقية ــ باضفاء حق القداسة عليه ومباركته باسم الحق الالهى ــ كما ساندته أصحاب رؤوس الأموال والاقطاع . أما الطبقة البرجوازية فكانت الطبقة المنفذة لحكم القيصر عن ولاء والمستغلة له فى الوقت نفسه فى تحقيق المصالح الفردية .

ولأن القوى التى كونت أو ساندت الوضع السابق فى المجتمع الروسى على الثورة الشيوعية كانت متعددة وواسعة النفوذ والأثر ــ

اخذت هـذه الثورة طابع العنف فكانت ثورة الدماء — ولم يزل الـدم شعارها — واخذت طابع العمق والسـعة معا فى التغيير — فكانت فى الجانب الاقتصادى شيوعية . وفى جـانب الايمان بالكنيسة — ثم بالدين كله — انكارا والحادا . وفى جانب القيم الأخلاقية الفردية تطبيقا فى ناحية وتحللا واباحية فى ناحية اخرى ، وبهذا التغيير الواسع المـدى والعميق الجذور ، ارادت الثورة الشيوعية أن تزيل اختلال التوازن وتعيد العدالة الاجتماعية الى المجتمع الروسى . والوضع المحلى فى الجماعة الروسـية السابق عليها هو الذى أوحى اذن بأن تستخدم الثورة العنف واسـالة الدم من جانب ، وبالانقلاب العام راسا على عقب فى كل ما كان للمجتمع من نظم فى الحكم والاقتصاد ، وقيم انسانية فردية أو جماعية .

ولذلك كان العبء الذى تحملته هذه الثورة وتتحمله حتى الآن عبئا شاقا فى الداخل والخارج على السواء ، هو عبء مواجهة الراى العـام الدولى بانكار القيم الانسانية والخلقية المشتركة ، وعبء مواجهة الحقوق الطبيعية العامة التى للانسان بحكم انه انسان قدر له من طبيعته أن يسود فيملك ويختار اذا ما تصرف وسعى ، ومن هنا كان استمرارها فى أن تتخذ من العنف فى الصراع والانقلاب شعارا لها ترمز اليه باللون الأحمر آيـة على مشقة العبء فى جوانبه العديدة الذى تحمله والذى ستستمر فى تحمله كما سنذكره فيما بعد .

وعلى أى حال هى ثورة قامت لتعيد التوازن الجماعى بعد أن اختل ككل ثورة قامت ووجدت — أمـا كيف انها بمحاولتها الانقلابية الدموية اعادت أو تعيد التوازن — فهذا شىء سيأتى عند الموازنة بين ثورة واخرى ، وبين رسالة او فلسفة اصلاحية ، ورسالة أو فلسفة اخرى .

● **الفاشـــية :**

والثورة الفاشية فى ايطاليا أيضا قامت لتعيد توازنا فى المجتمع الايطالى اختل ولكن بسبب ثورة اخرى سبقتها مباشرة وهى الثورة العمالية التى استجابت للشيوعية الدولية وسلكت خطوطها العامة فى المجتمع الايطالى .

ولذلك لم تحارب الفاشية النظام الملكى فى ايطاليا الا فى الفترة الأخيرة من حياتها فى أواخر الحرب العالمية الثانية بعد ما اعلنت النظام الجمهورى

على أثر تعاون القصر الملكي الايطالي مع الحلفاء الغربيين ضد الفاشية وسياسة المحور ، كما لم تحارب الكنيسة الكاثوليكية .

ورأت الفاشية اذ ذاك اختلال التوازن في المجتمع الايطالي يعود أولا وبالذات الى تغلغل الشيوعية والنظام الشيوعي ضد الملكية والكنيسة وضد راس المال والاقطاع ثم الى آثار الهزيمة في الحرب العالمية الأولى ، ولذا كان تحريم الشيوعية في المجتمع الفاشي الايطالي مقدمة في نظرها لاعادة التوازن في الجماعة الايطالية .

أما عوامل اعادة هذا التوازن فحددتها الفاشـية بصورة من صور الاشتراكية التي تقوم على العمل الجماعي ، دون أن تفقد الرأسمالية ويفقد الاقطاع الزراعي وجوده ولكن دون أن تكون لأحدهما سيادة ودون أن يباشر أحدهما أو كلاهما سياسة الاستغلال في مجال الاقتصاد وسياسة الضغط في مجال توجيه الحكم ، وكذلك دون أن يفقد النظام الملكي طابعه وتفقد الكنيسة توجيهها ، ولكن أيضا في عزلة أو شبه عزلة عن مجال الاقتصاد وتوجيـه الحـكم .

● النـــازية :

وعلى غرار الثورة الفاشـية في ايطاليا وتحت ضغط ظروف داخلية محلية وخارجية سياسية — قامت النازية في المانيا أو الاشتراكية الوطنية ورأت هذه الثورة في سيطرة اليهود الذين هاجروا من شرق أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى — على جوانب الحياة في المجتمع الالماني سواء في الاقتصاد أو السياسة او التعليم أو الصحافة أو القضاء أو الجيش أو المسرح والفن أو الجامعة — خطرا يهدد حياة الشعب الألماني ، بالاضـافة الى تغلغل الشـيوعية في شمال المانيـا . وسيطرة الكنيسة الكاثوليكية — وهي كنيسة الاقليم هناك على جنوب وغرب المانيا — اذ هذه جميعها عوامل تجعل من الشعب الالماني جماعات تدين بالولاء والتبعية لغير الدولة الالمانية فاليهودية وانتشارها وتحكمها لايعني إنتشار مذهب ديني لفئة من المواطنين وانما انتشار العالمية التي تأخذ صورا شتى وكلها تحارب القومية وتحارب القيم الخاصة بالمجتمع الذي تعيش فيه ، كي تمكن للأقلية أن تتمتع بنفوذ سياسة المال والجاه دون أن تؤذى أو دون أن تخشى وعى القومية واثرها .

والشيوعية الدولية تفرض الطاعة على اتباعها لأصحاب المذهب وقادة الحركة الشيوعية بدلا من القيادة والزعامة المحلية أو القومية . وهى اذن تفرضها لمن هم وراء حدود الوطن ، وتجعل من معتنقيها عملاء وتابعين لتلك القيادة الخارجية .

والكنيسة الكاثوليكية بدورها تجعل ولاء التابعين لها الى الفاتيكان وليس الى الدولة والوطن الذى يعيشون فيه . هذا من آثار الفصل بين الكنيسة والدولة .

وبجانب هذه العوامل الداخلية احست النازية ايضا بضغط الهزيمة العسكرية فى الحرب العالمية الاولى وبضغط آثارها السياسية فى المعاهدات التى عقدتها المانيا مع الحلفاء ، وبالأخص معاهدة فرساى التى اعطت لفرنسا الاشراف الاقتصادى على اغنى منطقة فى العالم بالفحم والحديد وهى منطقة السار والرور ، وفى غرب المانيا من وقت توقيع المعاهدة الى سنة ١٩٣٥ ، كما قيدت هذه المعاهدة قوة المانيا العسكرية وسمحت للحلفاء بالتدخل فى شئون المانيا الداخلية .

كل هذه العوامل مجتمعة سببت اختلالا فى توازن المجتمع الالمانى واصبح لرأس المال نفوذ وللاقطاع نفوذ وللدولة العالمية نفوذ وللتدخل السياسى الخارجى نفوذ كما اصبح التوجيه فى داخل المجتمع لكل العوامل عدا عامل الوطنية والقومية وهنا تفككت الروابط بين افراد المجتمع واختصمت الطوائف واحتكت الطبقات بعضها ببعض .

وعندما قامت الثورة النازية أو الثورة الاشتراكية الوطنية فى المانيا رأت من الضرورى أن اعادة التوازن الى المجتمع مرتبط ارتباطا اساسيا بالقوى الوطنية وبالقيم والخصائص التى للشعب الالمانى . كشعب جرمانى له مقوماته التاريخية واللغوية والفلسفية والإنسانية .

من هنا اسمت نفسها بالاشتراكية الوطنية ، وقصد بكونها اشتراكية ان تقرب الفوارق بين الطبقات ، مع الابقاء على رأس المال الخاص فى الصناعة وعلى الاقطاع فى الأراضى الزراعية ذلك عن طريق الضريبة التصاعدية ، كما قصد بها اكثر من ذلك . ان يكون الفرد للمجموع والمجموع للفرد اى أن تكون هناك رعاية متبادلة ، وان يكون هناك واجب متبادل بين الفرد والجماعة .

اما « الوطنية » نقصد بها ابعاد التوجيه الدولى والعالمى فى محيط المجتمع الالمانى — على أن يحل محله رعاية ما للوطن من خصائص ومقومات وهنا اشتبكت النازية مع كل من الشيوعية واليهودية العالمية ، والكنيسة الكاثوليكية اشتباكا عنيفا ومستمرا وحاولت ذلك قبل بدء الحرب العالمية الثانية بعشرين سنة فى ميادين عديدة ، وليس من اليسير الظفر فى احداها على حدة ، فضلا عن الظفر فيها مجتمعة .

وأعطت النازية — باعتبار كونها ثورة وطنية — قيمة خاصة لتاريخ الشعب الالمانى ولغته وفنه وعمله وصحافته وجيشه وكنيسته وهى الكنيسة البروتستنتينية .

وبذلك حاولت أن تنقل مركز الثقل من العالمية والدولية الى القومية والوطنية ، وأن تجعل رأس المال والاقطاع كلاهما يميل بعامل التوجيه الى الفلاح والعامل وعندما أعلنت فى شعارها أن : المانيا فوق الجميع ، قصدت الى أن المانيا فوق العالمية والدولية ، وأن القوى والامكانيات الموجودة لدى الشعب الالمانى وفى رقعته يجب توجيهها أولا الى خير الشعب جميعه قبل أن توجه الى ما وراءه مما تدعو اليه فكرتها الدولية والعالمية ، وهما فكرتا الشيوعية واليهودية .

وهكذا كل واحدة من هذه الثورات التى قامت فى النصف الاول من القرن العشرين قامت تحت ظروف محلية داخلية قد يشابه بعضها بعضا وقد يختلف بعضها عن بعض وقامت لتعيد « التوازن » فى المجتمع وتبعد عنه عوامل الاختلال فى علاقة الطبقات بالأفراد . وكل واحدة من هذه الثورات لها فلسفتها الخاصة بالتوجيه ، وهى فلسفة قصد بها أن تبرر قيام الثورة وتبرر وجودها وتبرر بقاءها .

***

الرسالات الدينية

ولو انتقلنا من هذه الثورات جميعها ومن فلسفتها الخاصة بها المبررة لقيامها واستمرارها الى تلك الرسالات الدينية التى تمثل أيضا ثورات ومبررات لهذه الثورات — نجدها قامت على اثر اختلال « فى توازن المجتمع لتعيد الميزان أو لتعيد وضع التوازن المنشود فى المجتمع الانسانى » **« ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، انه كان من المفسدين • ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين • ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »** (١) • **« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط »** • (٢) **« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل »** (٣) •

• المسيحية :

فرسالة المسيح عليه السلام جاءت على اثر اختلال المجتمع الشرقى اليهودى عن طريق طغيان « المادية والفردية » وتحكم النزعات الممزقة لعلاقات الافراد واواصر القربى بينهم ولذا كانت دعوتها — لكى تعيد التوازن — الى الاخوة والتسامح والمحبة ، كانت دعوتها الى « الروحية » فى مقابل « المادية » وآثارها المخربة المقوضة للمجتمع **« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين »** (٤) •

---

(١) القصص : ٤ — ٦ (٢) الحديد : ٢٥
(٣) النساء : ١٦١ (٤) المائدة : ٤٦

والمسيحية اذ دعت الى الروحية اذ ذاك لم تقصد الى العزلة عن الحياة كما لم تقصد اطلاقا الى ما سمى فيما بعد بانفصالية الدولة عن الدين. اذ الروحية — وهى المعانى والقيم الانسانية من المحبة والاخاء والتسامح — لا تعنى فى قليل ولا كثير الانصراف تماما عن شئون الحياة كما لا تعنى توزيع الفرد بين سلطتين يخضع لاحداهما بجسمه ويخضع لثانيتهما بنفسه او روحه وما تعنى به روحية المسيحية اولا وبالذات عدم الانقياد الى المادية انقيادا اعمى وجعلها كل شىء فى حياة الانسان اذ ان جعل « المادية » هى كل شىء فى الحياة يؤدى حتما الى انهيار العلاقات الانسانية او الى عدم اعتبار الخصائص الانسانية فى الصلات والترابط .

ولكن دعوة المسيحية الى الروحية لم تستمر فى هذا الاطار ، بل صرفته الى طلب العزلة فى الحياة وتأثرت بالاتجاهات الدينية الآسيوية السابقة عليها التى دخلت على الافلاطونية الحديثة ، والتى زحفت الى منطقة الشرق الادنى وهى اتجاهات تميل الى « الفناء » الوجود المادى للانسان وللحياة المادية عامة ولذلك تدعو الانسان الى تقييم الروح وحدها وعبادة الروح الكبرى وهى روح براهما — بتمثلها والافناء فيها والاتحاد معها .

حتى اذا دخلت المسيحية روما وتغلغلت فى رقعة الامبراطورية الرومانية — ابتدأ تيار خفى يتبلور شيئا فشيئا وهو تيار المنافسة بين أصحاب هذه الدعوة من رجال المسيحية وبين من كان لهم السلطات والحياة فى هذه الامبراطورية من الأمراء والنبلاء وقواد الجيش ولكن الاتجاه الى عزل رجال الدين عن الحياة العامة اى عزلهم عن النفوذ والسلطان والابتعاد بالدعوة المسيحية عن مركز الحياة الى هامشها — هو الذى ساد فى القرنين الخامس والسادس الميلادى وبالأخص فى منطقة الشرق الأدنى وفى موطن ميلادها الاول .

وعادت « المادية » اليهودية تسيطر من جديد على هذه المنطقة ، وتبعت « الروحية » المسيحية فى الاديرة وفى صدور الرهبان وحدهم . **« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا**

مع الشاهدين . وما انا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » . (١)

***

• الاســـــلام :

وهنا اختل توازن المجتمع الانسانى من جديد فجاءت رسالة الاسلام لتقضى على هذا الاختلال ولتعيد التوازن من جديد للمجتمع البشرى بوصف كونه مجتمعا بشريا « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض ، لا اله الا هـــو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** » (٢) « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، الا آلى الله تصير الأمور** » (٣) .

وبذلك كانت دعوة عامة ورسالة بشرية لا تختص برقعة دون رقعة ولا بجنس دون آخر ، وعندما وصف القرآن الكريم الأمة الاسلامية بأنها أمة وسط فى قوله تعالى : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** » (٤) تقصد الى أن توازن المجتمع هو فى الربط بين المادية والروحية وعدم الوقوف كلية الى جانب المادية كما فهمها شعب اسرائيل وسيطرت على حياته قبل رسالة المسيح او الى جنب الروحية على ما آلت وتحولت اليه الدعوة المسيحية بعد أن صارت الى الدير والرهبنة ويوضح ذلك تلك الوصية التى وردت فى قوله جل شأنه « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، أن الله لا يحب المفسدين** » (٥) .

وكانت للاسلام تعاليم تحدد هذا الوسط أو التوازن ، وترسم المنهج

---

(١) المائدة : ٨٢ ــ ٨٤ . (٢) الاعراف : ١٥٨ .
(٣) الشورى : ٥٢ ، ٥٣ . (٤) البقرة : ١٤٣ .
(٥) القصص : ٧٧ .

السلوكى للفرد والمجتمع معا للتخلص من الاختلال أو التطرف أى الركون الى أحد الطرفين المادية أو الروحية وليس المجتمع البشرى فى نظر هذه التعاليم بموجود مستقل عن الأفراد ، بل هو الأفراد فى علاقات بعضهم ببعض وكما لا يستقل فى محيط الفرد جسم الانسان عن روحه — وكذلك فى محيط المجتمع لا يستقل فرد عن فرد ولذا لايعرف الاسلام «الانفصالية» فى حياة الانسان فلا يفرق فى ولائه بين ما لله وما لغير لله من انسان **« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »** (١) الولاء كله لله فى بداية الأمر ونهايته .

واذا لم تعرف تعاليم الاسلام « الانفصالية » فى حياة الفرد وحياة المجتمع فما من ثنائية يجب التعادل بينها ، اذ لا مفر عندئذ من الاعتراف بقيمة كل من طرفى هذه الثنائية ولذا كان « التعادل » أو « التوازن » هو هدف هذه التعاليم فى سلوك الفرد نحو نفسه وفى صلته بغيره أيا كان هذا الغير أبا ، أو أما ، أو ذا قرابة ورحم أو زوج أو جارا أو قريبا أو بعيدا أو راعيا ، وكل الأفراد راعون لأنفسهم أو لغيرهم : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته ».

والخلاصة من هذا كله الآن أن الثورات التى قادها زعماء والتى توفر على توضيحها فلاسفة وأن الرسالات الدينية التى دعا اليها الرسل وتعاليم هذه الرسالات المودعة فى الكتب السماوية — هذه وتلك توجد تحت ضغط اختلال التوازن فى المجتمع لتعيد هذا التوازن من جديد فى مجتمعاتها التى قامت فيها .

***

(١) النساء : ٥٩

الفـــرق بـــين ثـــورة وأخرى

والفرق بين ثورة واخرى اذن ليس فى اسباب قيامها ولا فى اهدافها وانما فى « المفارق » الخاصة التى تعبر بها والتى تستخدمها فى توجيه الثورة .

ولكى يمكن الموازنة بين ثورة وثورة يجب ان نقف قليلا عند العناصر او الجوانب التى تتحل كل ثورة .

كل ثورة قامت فى أى مجتمع انسانى حتى الآن — أو تقوم بعد ذلك — يلاحظ فيها جانبان رئيسيان :

(ا) يلاحظ فيها جانب سياسى .
(ب) وجانب أخلاقى .

● الجـــانب الســـياسى :

الجانب السياسى يتمثل فى أن تتاح للفرد الحرية فى الحياة . ومفهوم الحرية من المفاهيم التى يكثر تداولها فى تعبيرات قادة الثورات ، ويكثر تأكيدها فى الخطة التى يقوم عليها توجيه المجتمع ورايه العام .

وبغض النظر عن انتزاع تحديد هذا المفهوم من اية ثورة من الثورات فاننا ندرك بعيدا عن التأثير بأى تحديد منها أن حرية الفرد فى الحياة داخل المجتمع الذى يوجد فيه :

هو ان يكون متساويا فى الوضع امام الفرص التى توجد فى المجتمع الذى يعيش فيه . وهى فرص الكسب .. فرص العمل والمهنة .. فرص ممارسة النشاط السياسى فى توجيه الحكم . وكذلك يكون متساويا امـــام

القانون فيما يعبر وفيما يرى وفيما يعتقد وفيما يمسك . ولا تمييز بين فرد وفرد آخر فى تطبيق القانون عليهما .

وليس معنى التساوى أن يكون حظ كل فرد هو حظ الآخر فى الحياة فى الملك ، أو الجاه أو السلطة لأن ذلك ضد طبيعة الانسان .. فالأفراد متفاوتون حتما فى الطاقات والاستعدادات البشرية . فاذا اتيحت لأفراد المجتمع عامة فرص الحياة المختلفة . أى اذا أمكن لهم ممارسة طاقاتهم جميعا بالتساوى ، لافرق بين واحد وآخر ، فسيبرز أصحاب الطاقات القوية وسيتقدمون غيرهم فى جوانب حياة المجتمع وحينئذ يأتى التمايز فى الملك ، أو الجاه ، أو السلطة لبعض أفراد المجتمع على بعض .

انها سنة الحياة الانسانية . سنة التفاضل والتمايز بين الأفراد ، ولكن ليس من سنة الحياة الانسانية أن يأتى التفاضل والتمايز عن طريق وضع العقبات امام البعض وتخليتها من طريق البعض الآخر . تكافؤ الفرص مبدأ طبيعى فى حياة الأفراد بعضهم من بعض فى مجتمع واحد ، واتاحة الفرصة لفريق دون فريق بسبب اللون أو الجنس أو القبيلة أو المذهب أو غير ذلك من العوامل التى تدعو اليها الحزبية والفرض وضع غير طبيعى فى حياة المجتمع اى مجتمع .

وعن هذه الحرية أو عن هذا التساوى أمام الفرص وأمام القانون يتفرع مبدأ الملكية الفردية ومبدأ صيانة الحرمات المختلفة : حرمة النفس وحرمة المال وحرمة العرض وحرمة المسكن .

وليس معنى الحرية الفردية داخل نطاق المجتمع الانطلاق من قيود المجتمع الممثلة فى قوانينه وعرفه وعاداته . ان ذلك ليس حرية فردية فى مجتمع بل فردية وانفصالية عن المجتمع نفسه . اذ المجتمع الانسانى لا يكون مجتمعا انسانيا الا اذا كان هناك وعى جماعى ويقظة جماعية بالمجتمع نفسه . والوعى أو اليقظة الاجتماعية تتكون بناء على شعور داخلى فى الأفراد بالترابط فيما بينهم على أساس من علاقات مشتركة تتبلور فى أهداف مجتمعهم ونظرته الخاصة الى الحياة . ويقتضى الترابط على أساس مشترك أن يكون هناك اعتراف من كل فرد فى المجتمع لكل فرد آخر فى المجتمع بحقه فى الحياة بل وفى حقه فى المساعدة والمعاونة على الحياة اذ بدون ذلك لا تتحقق أهداف المجتمع .

والاعتراف من كل فرد فى المجتمع لكل فرد آخر فى المجتمع بالحق فى الحياة يتطلب ان يحد كل فرد من رغباته أو أمانيه ليخلق مكانا فى المجتمع لحياة الفرد الآخر وعن هذا التحديد تنشأ قوانين المجتمع ويتكون عرفه وتتكون عاداته . وبعد ذلك اذا فهمت الحرية الفردية فى اطار المجتمع على انها الانطلاق فهى الشذوذ اذن والخروج والانفصال عن المجتمع .

والحرية الفردية كما يترتب عليها اباحة حق التملك وصيانة الحرمات الأربع والمساواة أمام القانون فى التعبير والرأى والاعتقاد يترتب عليها أيضا عدم وجود طبقات فى المجتمع ، لأن وجود الطبقات فى أى مجتمع ينبىء عن عدم وجود هذه الحرية الفردية بالنسبة لكل الأفراد وينبىء عن عدم اتاحة الفرصة فى جوانب النشاط المختلفة بالتساوى لجميع الأفراد ولذا قامت طبقات على أساس مشترك بين أفرادها .

قد يكون هذا الاساس رأس المال وقد يكون نوع الوظيفة كالعمل فى القطاع الحكومى وقد تكون الحزبية السياسية فى ممارسة نشاط الحكم .. الى غير ذلك من الاسس التى تفرق وتجمع فى الوقت نفسه داخل المجتمع المعين .

وهذه الحرية الفردية التى تترتب عليها تلك الآثار قد يكون من عوامل توافرها وتواجدها دفع السلطة الداخلية فى المجتمع ودفع النفوذ الاجنبى عن مجالات النشاط فيه — الاقتصادية والسياسية والتوجيهية والثقافية — وهنا يكون كفاح الثورة مع النفوذ الأجنبى كفاحا ضروريا لتمكين أفراد المجتمع من الحرية الفردية أى من وضعهم وضعا متساويا أمام الفرص وأمام القانون .

● **الجانب الأخلاقى :**

أما الجانب الآخر الذى يلاحظ فى كل ثورة فهو الجانب الاخلاقى وهو الجانب الذى يتمثل فى الاحتفاظ بكرامة الفرد فلا تهدر آدميته وانسانيته بالسخرة والاسترقاق فى صورة ما فى علاقته بغيره . وليس معنى الاحتفاظ بكرامة الفرد أن لا يوجد فى المجتمع صاحب عمل وأجير ولا مالك ومستأجر لهذه الأرض ولا مخدوم وخادم ، وانما معنى ذلك ألا يستغل فرد فى وضع ما أجيرا أو مستأجرا أو خادما . اذ بدون الاحتفاظ بكرامة الفرد لا تتحقق الحرية الفردية السابقة كما انه بدون هذه الحرية الفردية لا توجد كرامة انسانية للفرد .

هذان المفهومان للحرية الفردية والكرامة الانسانية للفرد تحديدها على هذا النحو منبثق من معنى الثورة اى الثورة التى قامت لتزيل اختلال التوازن وتعيد من جديد علاقات الأفراد الى الوضع الطبيعى . وليس تحديدها الآن مشتقا ومنتزعا من ثورة بعينها .

وكما أن تحديدها مشتق من طبيعة الثورة فتلازم أحدهما للآخر من لوازم هذه الطبيعة الاصيلة . واذن « السياسة » التى تقوم على اساس توفير الحرية الفردية فى المجتمع لا تنفصل عن « الاخلاق » التى تدعو لتوفير الكرامة الانسانية والاحتفاظ بهذه الكرامة فى السلوك والتصرف وهنا تتضح العلاقة المشتركة بين معنى « الثورة » ومعنى « الرسالة الدينية » فكلتاهما تهدف الى تحقيق الأمرين معا فى المجتمع البشرى . وهنا نشير مرة اخرى الى أن فصل السياسة عن الأخلاق فى حياة الانسان والمجتمع : فصل مصطنع . وارسطو الفيلسوف الاغريقى عندما ربط بين السياسة والاخلاق كان طبيعيا فى تفكيره وكان بعيدا عن التأثر بالعوامل التى اصطنعت هذا الفصل فيما بعد فى تاريخ الفكر البشرى .

● الموازنة بين صور الثورات الحديثة :

ولننتقل الآن الى الموازنة بين صور الثورات الحديثة التى جدت فى اعقاب الحرب العالمية الأولى من جانب والثورة العربية من جانب آخر فى ضوء هذا التصوير الموضوعى لمعنى الثورة وتحديد مفاهيمها التى تستخدم فى التعبير والتوجيه .

والثورات الحديثة كلها ومن بينها الثورة العربية تطلق على نفسها كلمة الاشتراكية تعبيرا عما تهدف اليه من اعادة التوازن فى المجتمع فهى ثورات اشتراكية اى ثورات من أجل الجماعة والمجتمع فى « سوشيالزم » وفى واقع الامر لا تختلف كلمة الاشتراكية عن كلمة التوازن الجماعى فى المقصد .

وسنرى أن المغايرة أو المفارقة بين ثورة واخرى هى فى القرب أو البعد من التحديد الموضوعى للمفاهيم المشتقة من معنى الثورة والتى ترددها كل ثورة فى التعبير عن خصائصها والاندفاع بها .

ولنقصر أنفسنا على مفاهيم ثلاثة : تدور فى كل هذه الثورات وهى الاشتراكية والحرية والكرامة الانسانية .

• الاشتراكية ، الحرية ، الكرامة الانسانية :

نستعرض أولى هذه الثورات الحديثة ، وهى الثـورة الشـيوعية ونستعرض فيها معنى الاشتراكية وموضع الحرية الفردية ومكان الكرامة الانسـانية .

• الاشتـراكية الشـيوعية :

الاشـتراكية الشيوعية هى نقل الملكية الفردية من أفـراد المجتمع الشيوعى الى « الدولة » أو المجتمع . والدولة عندئذ هى التى تتكفـل بالاعانة عن طريق منح العمل فى المزرعة أو المصنع وبالخدمات العامة عن طريق اجهزتها المختلفة . ورات أن فى نقل الملكية الفردية على هـذا النحو قضاء على الطبقات واعادة لتوازن المجتمع . والاشتراكية بهذه الصورة تنطوى على حرمان وتحريم فى الوقت نفسه لتملك الفرد . والتملك الفردى ليس مظهرا فحسب من مظاهر الحرية الفردية التى سيأتى الحديث عنها هنا فى النظام الشيوعى . ولكنه متنفس لأصل رئيسى من أصـول الطبيعة الانسانية وهو غريزة الذات أو غريزة حب البقاء . فذات الفرد تدفع دفعا (غريزيا) نحو السعى وتحصيل ما يفى الذات وما يجعلها تستمر فى البقاء . ومن بين ما يعينها على البقاء ويؤمنها على الوجود الشخصى المال الخاص الممثل فى الملكية الفردية . ولهذا ترى الذات الفرديه لـذة ومتعة فى السعى نحو تحصيل المال الخاص وتنميته . فاذا حرمت من الملكية الفردية سبقت الى العمل والسعى فى سبيل العيش بدافع خارجى ، هو دافع القانون المسلح والرقابة السرية واصبح الانسان فى المجتمع الشيوعى حينئذ انسان « الجبر » لا انسان « الاختيار » . انسان « السخرة » والاكراه نحو العمل .. لا انسان « الارادة » .

ومع ذلك لا تحقق الاشتراكية الشيوعية هدف التوازن فى المجتمع . فليس التوازن فى فرع المال الخاص ووضعه تحت حراسة باسـم الدولة أو المجتمع يتعيش منه أفراد المجتمع حسبما ترسم الدولة . وهى القيادة العليا التى تتغير تغيرا فيه قسوة وفيه اكراه كذلك . ولكن هدف التوازن هو فى الشعور النفسى للأفراد بعدم « الظلم » وبعدم الاكراه على نوع العمل والظلم لا يتمثل فى حرمان ذى الحاجة من حاجته فحسب وانمـا

قبل ذلك يتمثل فى حرمان الانسان من انسانيته التى اخص مظاهرها الحرية والكرامة .

وكيف تحقق الاشتراكية الماركسية توازن المجتمع وهى تقوم على سلب ما فى يد افراد المجتمع مما يملكون ولا ينفع عندئذ بديلا من هذا السلب والحرمان اعطاء العمل ثانية للافراد ، فاعطاء العمل عملية كراء .. هى اعطاء فى مقابل اخذ .. هى تبادل مجهود بشرى مع سلعة من سلع الحياة بحيث لو انقطع هذا المجهود البشرى أو ضعف لانعدمت السلعة أو انحسرت كميتها .

أما المفهوم الآخر وهو مفهوم « الحرية الفردية » فالماركسية — وهى اساس الشيوعية — تنزع فى تقديرها من النظرة الى الفرد . « والفرد » فى اعتبارها مخلوق للبيئة المادية وللجانب الاقتصادى على الاخص ، من جوانب المجتمع . وبهذا الاعتبار ليس وضعه وضعا ثانويا فى الوجود فقط بعد المجتمع . بل هو محدد ومقدر ومسير لا مخير ، بتحديد المجتمع وتقريره وارادته . والجانب العقلى أو النفسى فى الانسان تابع لجانبه المادى وهو جسمه . واذن تفكير الانسان تابع لتابع ، هو تابع لجسمه ، وجسمه تابع للمجتمع .

ونتيجة هذه النظرة ان الحرية الفردية خرافة وان الانسان لا يملى على المجتمع فضلا عن أن يخلقه وعلى العكس : المجتمع هو الذى يصوغ الانسان وهو الذى يوجهه .

والمجتمع الشيوعى اذن ليس مجتمع تكافؤ الفرص وانما هو مجتمع الزام فى التوجيه نحو العمل وليس مجتمع مساواة بحيث يترك الأفراد أمام أوضاع متساوية ويتميز بعضهم على بعض بعد ذلك بمدى الاستعدادات الفردية التى تختلف وتتمايز عند الأفراد بحكم الطبيعة والفطرة . وانما هو مجتمع «انتخاب» للعناصر المفضلة أو التى يرى أنها مفضلة . والتفضيل فيه بين الأفراد اذن عملية فيها اصطناع أو فيها تدخل وليس نتيجة لسنة الوضع الطبيعى .

وافراد المجتمع الشيوعى كما لم تكن لهم الحرية الفردية بمعنى وضعهم جميعا وضعا متساويا أمام الفرص المختلفة لم تكن ايضا هذه الحرية بمعنى وضعهم وضعا متساويا أمام القانون . فقانون هذا المجتمع لا يسوى بين صاحب العقيدة الماركسية وبين الذى لا يدين بها فى نطاقه .

واذا انتقلنا بعد ذلك الى المفهوم الثالث ، وهـو مفهوم « الكرامة الانسانية » نجد ما يدل عليه فى النظام الشيوعى لهذا المفهوم يساوى « السخرة » فانسان حرم من الملك ومنع من أن يتملك وفقد حريته الفردية والزم بنوع العمل ونوع الاعتقاد وارتبط مصيره فى الحياة بما يعطى من غيره هو فى واقع أمره مكره على الحياة ومسخر على السعى فيها .

وفوق هذا وذاك انسان فقد حرية التعبير عما يفكر ، هو انسان قضى عليه بالصمت وهو الكائن الناطق ، كما قضى عليه من قبل بالتبعية وهو صاحب المشيئة فى خلقه وفى طبيعته .

والثورة الشيوعية ـ بعد ذلك ـ التى قامت لتزيل اختلال التوازن فى المجتمع الروسى أولا قامت لتزيل سيطرة القيصرية وتحكم راس المال والاقطاع وترفع قداسة بعض الطبقات ـ كطبقة رجال الكنيسة ـ مكنت لسيطرة الدولة والمجتمع واضفت عليها لونا من القداسة لم تتمتع به الكنيسة من قبل .

والثورة الشيوعية التى تحدت الله وقوضت محرابه فى الكنيسة وجهت رعاياها الى معبود آخر هو « الدولة » وبنت له محرابا جديدا اسمته « العلم » .

● **اشتراكية الفاشية :**

وهى اشتراكية ـ كما سبق أن اشرنا ـ قصدت الى عدم تمكين الشيوعية بعد أن هزمتها بالاستيلاء على روما وعلى سلطة الحكم فيها من أن تنفذ الى الوطن الايطالى من جديد . ومن أجل ذلك ارتكزت على مقومات الحضارة الرومانية وعلى ما خالط هذه الحضارة من القيم المسيحية واستعانت بهذه وتلك فى توجيه الشعب الايطالى وابعاده عن الشيوعية ، كما عمدت الى خلق فرص للعمل كى تقضى على البطالة بين عمال المصانع التى كانت سببا من أسباب تسرب الشيوعية الى الوطن الايطالى .

واذا كانت الاشتراكية الفاشية رد فعل للتسرب الشيوعى ، فان تحديدها لمفاهيم الإشتراكية وللحرية الفردية وللكرامة الانسانية لا يكون جديدا كل الجدة ولا غريبا عن المعانى التى تستنبطها الحضارة الرومانية وقيم المسيحية كما تصورها الكنيسة الكاثوليكية .

ولذا كانت الاشتراكية فى النظام الفاشى اقتطاع من ارباح رأس المال فى الصناعة ومن غلة الاقطاع فى الزراعة وتوجيه ما يستقطع للخدمات العامة أو لخلق فرص جديدة للمتعطلين فى كلا القطاعين او للتنمية الاقتصادية الجماعية بوجه عام .

اما مفهوم الحرية الفردية وكذا مفهوم الكرامة الانسانية فكان لا يحدهما الا احتياجات المجتمع الايطالى او صالحه بصورة اجمالية ..

والفرد الايطالى فى نظام الفاشية وان لم يكن وليد المجتمع على نحو ما ترى الشيوعية فقد وضع فى خدمته . والدولة الفاشية وان لم تكن معبودا للفرد الفاشى ولكن سلطانها امتد الى كثير من جوانب حياته .

وربما لأن هذا النظام الفاشى كان رد فعل للشيوعية ومن اجل ذلك ابتدأ خط سيره بين المجتمع والجماعة ليصل الى الفرد ولم يبتدئه من الفرد ليصل الى الجماعة والمجتمع .. لانه كان كذلك لم يتمكن من أن يبلغ الى الغور البعيد فى نفس الفرد فيجعله لبنة قوية يتكون منه ومن غيره مجتمع قوى لم يتمكن من جهل اليقظة بالذات وبالمجتمع معا حقيقة واحدة فى نفس الفرد ، تتضح فى تفكيره وفى عمله على السواء .

وهنا كانت نقطة الضعف التى بدت فى الهزائم العسكرية للجيش الايطالى فى الحرب العالمية الثانية : فى اليونان .. وفى خيانة البحرية الايطالية فى تمويل الفرقة الأفريقية الألمانية بليبيا أثناء هذه الحرب .

● اشتراكية النازية :

وهى اشتراكية فى غرار اشتراكية الفاشية قامت لتواجه التسرب الشيوعى من جانب وسيطرة اليهودية العالمية على القطاعات الحيوية فى المجتمع الألمانى . من جانب آخر . وهى لا تتميز كثيراً فى تحديدها لمفاهيم الاشتراكية والحرية الفردية والكرامة الانسانية عن الفاشية الايطالية ولا فى تطبيقهافى حياة الفرد وفى علاقته بالجماعة ولكنها تختلف بعد ذلك فى شيئين .

أولا : انها كرد فعل للتغلغل اليهودى العالمى فى افظع صورة لتغلغل دخيل — وقفت من اليهود ومن نفوذهم موقفا فيه كثير من الغلو والقسوة .. لم تفعله الفاشية ولم تكن هى بحاجة الى أن تفعله .

ثانيا : ان النازية وان كانت رد فعل للشيوعية وابتدأت من أجل ذلك من قطاع الجماعة والمجتمع كما فعلت الفاشية الا أن الفرد الالمانى قد عرف منذ زمن طويل بأنه « انسان الواجب اى ذلك الفرد الى يفعل ما يجب عليه نحو نفسه وجماعته دون انتظار لجزاء قريب أو بعيد من غيره . اذا انه يكتفى فى عمله للواجب أنه قد أدى ما وجب عليه فأرضى ضميره .. وتوارث الشعب الالمانى « الخلقية للواجبية » منذ « كانت » فى القـــرن الثامن عشـــر .

وبالاضافة الى ذلك أيقظ فى نفوسهم معنى الوطن والمجتمع وحببه الى قلوبهم لدرجة الفداء والتضحية « فلسفة نيتشه » .

وبهذا غاير الفرد الالمانى فى المجتمع النازى الفرد الايطالى فى المجتمع الفاشى من حيث الوعى الجماعى وبدت هذه المغايرة فى المقاومة العنيفة التى قام بها الجيش الالمانى فى جميع ميادينه وفى تحديه الذى وجهه الى جميع القوى العالمية الخارجية .

***